المسح الآثاري

اولاً : المسح الآثاري:

هو إلقاء نظرة عامة وشاملة على أرض المكان الذي يشكل موقع العمل، وتتم هذه العملية بالاستعانة بالآلات والمعدات والتقنيات المتوفرة من أجل وضع مخططات وخرائط وتثبت نقاط إسناد مرجعي جغرافي للاستعانة بها في تحديد المواقع الأثرية على الصور الجوية والخرائط، فضلا عن وضع نقاط للمتناثرات واللقى السطحية المهمة في وحول الموقع وأصبح المسح عنصرا مهما وضروريا، إذ يعد من أهم الوسائل الواجب استخدامها على مختلف مستويات البحث الأثري.

فأن المسح الآثاري هو اللبنة الأولى للمشاريع الإثارية طويلة الأمد، إذ أن المسح يحقق مجموعة أغراض منها اكتشاف المواقع التي يرغب المختص أو الباحث في دراستها، وتقييم التهديدات المؤثرة في الموارد الاثرية، ورفع توصيات قبل فقدها كليا أو جزئيا وفهم أنظمة الاستيطان السابقة وما يرافقها من تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية.

فالمقصود بالمسح الأثاري هو ارتياد المواقع القديمة التي غالباً ما تكون هذه الآثار قد تأثرت بالكثير من العوامل المختلفة من مظاهر السطح والخطوط الكنتورية وتغيرات الطقس وتطور الزراعة وتوسع المستوطنات السكنية وما فرضته الأعمال التحصينية لهذه المستوطنات.

يجب ارتياد الموقع الأثري لتحديد أهميته ومساحته وتاريخه وبعض خصائصه الأثرية المحتملة يمكن أن يكون واضحا إذا كانت أثاره المعمارية من الأبنية الدينية والمدنية والتجارية وغيرها مما عرفته عمائر الحضارات المختلفة ظاهرة تماما، أما إذا لم يكن شيئا من ذلك ظاهرا كالتلال الأثرية، ونحوها من المواقع المهجورة فإن الكسر

الفخارية أو الخزفية الملتقطة من سطح هذه التلال تشكل أهم الظواهر الأثرية المحتملة ليس فقط فيما يتعلق بالموقع ذاته، وإنما فيما يختص بتاريخه أيضاً، لأن كل من عصور الحضارات القديمة، بدءا من حضارات العصور التاريخية حتى العصر الإسلامي له فخاره وخزفه الذي يميزه عن بقية العصور.

أسباب المسح الأثري :

ثمة أسباب كثيرة يمكنها أن تقود إلى تحقيق مسح أثري، حتى أنه من الصعب إعداد قائمة كاملة بهذه الأسباب ، يمكن القول أن لكل بحث أثري مميزاته وطرائقه الخاصة به .

لذا يكون المسح الأثري أحد المناهج التي يتبعها الباحث الآثاري لتحديد أماكن تواجد المواقع الأثرية، ويعتمد على القيام بفحص ودراسة سطح الأرض، ويمكن إجراء ذلك باستخدام طرائق مختلفة.

إن ارتياد الموقع الأثري لتحديد أهميته ومساحته وبعض خصائصه الأثرية المحتملة يمكن أن يكون واضحاً إذا كانت أثاره العمارية من الأبنية الدينية والمدنية والتجارية وغيرها مما عرفته عمائر الحضارات القديمة المختلفة ظاهرة تماماً، أما إذا لم يكن شيئاً من ذلك ظاهراً كالتلال الأثرية ونحوها من المواقع المهجورة فإن الكسر الفخارية أو الخزفية الملتقطة من سطح هذه التلال تشكل أهم الظواهر الأثرية المحتملة ليس فقط فيما يتعلق بالموقع ذاته، وإنما فيما يختص بتاريخه أيضاً، لأن كل عصر من عصور الحضارات القديمة، بدءاً من حضارات العصور التاريخية وحتى العصر الإسلامي كان له فخاره وخزفه يميزه في غالب الأحيان عن بقية العصور، ومن هنا أدى الفخار والخزف دوراً مهماً في تاريخ هذه الحضارات، ولم ترق إلى أهميته أية مخلفات أثرية أخرى.

ونشير هنا أنه يسجل لمعظم دارسي آثار بلاد الرافدين الذين يدرسون الفخار أنهم استطاعوا تعيين الأشكال الخاصة، وطرز الفخار وتقنيات الصنع وأنماط المعالجة السطحية، في حيز خاص وسياقات تاريخية حسب تسلسلها الزمني .

أن عملية المسح الأثري أصبحت الآن وسيلة من أهم الوسائل المستخدمة في تحقيقات المواقع الأثرية على اختلاف أنواعها وعصورها، حتى لم يعد ممكناً القيام بحفر موقع من هذه المواقع دون إجراء عملية مسح كامل له . لدرجة أن كثير من الدول الغنية بالآثار مثل العراق ومصر وإيران وتركيا رأوا ضرورة إجراء تعديلات في نظم التنقيب عن آثار بلدانهم لأنهم اكتشفوا الأسراف والتبذير اللذين صاحبا أعمال التنقيب في الماضي، لذا اشترطوا على المؤسسات والبعثات التي تروم العمل والتنقيب في بلدانهم ضرورة التعهد بإجراء مسح أثري كامل للمناطق التي يرغبون في الكشف عنها أملاً في أن يكون لديها من هذا المسح إلمام كامل بالمواقع الأثرية التي لم تكن قد وقفت عليها من قبل.

حدود المسح الأثري :

إن أبسط حدود المسح الأثري هي إنجاز جرد كامل للأماكن التي يمكن أن تظهر فيها مخلفات أثرية من أي نوع كان، ولتسهيل إنجاز مثل هذا العمل يتوجب على الباحث الخروج إلى الحقل وفحص الأرض بدقة، لأن مجموع المعلومات التي تم تحصيلها إذا ما أستفيد منها بطريقة جيدة ستزود الباحث بجملة من المعطيات الأساسية والمهمة حول الدراسة العامة لتاريخ المنطقة وبمقدار دقة تطبيق التقنيات بأفضل شكل ستكون كمية المعلومات التي يتم الحصول عليها أوفر وأكمل.

أن المسح الأثري بعد واحداً من المناهج الأقل تكلفة وتهديماً من عمليات التنقيب. ويمكن للباحث الآثاري الذي يشرف على مشروع مسح أن يركز على جملة من الأمور، يمكن حصرها بالآتي :

1-يركز عمله في منطقة محددة، وفي هذه الحالة فأنه من المؤكد أن يهتم بمظاهر دون الأخرى، أما إذا كان مضطراً لدراسة منطقة غير معروفة بشكل كاف فيصبح من الضروري القيام بمسح أثري عام غايته الحصول على جرد لأعداد كبيرة من المواقع مستوطنات، وطرق مواصلات، وقنوات ري قديمة، ومحاجر، ومناجم، ومناطق صيد تعود لعصور قبل التاريخ

2-يركز اهتمامه على المخلفات الثقافية المادية التي تظهر على السطح، من مثل العناصر المعمارية القديمة مثل: الأسس أو الجدران أو الأبنية الكاملة مثل الأبنية الدينية والمدنية والتجارية وغير مما عرفته عمائر الحضارات المختلفة. وبهذا يستطيع أن يرى ما هي الثقافات التي مرت في تلك المنطقة خلال العصور السابقة وكيفية استخدام المجموعات البشرية لمثل هذه الثقافات، ثم يقوم بإعداد الخرائط التي ستحدد وضعية المواقع الأثرية، وبتسجيل العصور التي وجد فيها كل موقع من المواقع، وسوف يتمكن الباحث بهذه الطريقة وباستعمال خرائط أخرى، من القيام بتقسيمات زمنية للعصور والأدوار التاريخية المختلفة للمنطقة الممسوحة، ويحصل على نتائج تساعده على دراسة تطور التجمع البشري والإستيطان في المنطقة التي يقوم بدراستها.

وسوف يتمكن الباحث من خلال هذه التقسيمات المؤقتة من التعرف على الكيفية التي تتوزع وفقها المستوطنات في كل عصر بشكل محدد وكيفية تطور التخطيط الذي اعتمد في تقسيم المستوطنات على الأرض، وبهذا يمكنه الحصول على

معلومات وثائقية كثيرة دون الحاجة إلى عملية الحفر من خلال محاولة تخمين الحجم الموجود بين المستوطنات الكبيرة والصغيرة في فترات مختلفة.

3-يمكن للباحث الآثاري الذي يقوم بالإشراف على مشروع مسح أن يتابع دراسة مدة تأريخية محددة لتبين الكيفية التي كانت تتوزع وفقها المجموعات البشرية، ومثل هذا البحث سيساعد غالباً على عملية إختيار موقع أثري محدد، ويجعله مؤهلاً لتقديم الإجابة الصحيحة على المشكلات التي تطرح أمامه للشروع بعملية حفر منهجي.

4-ويمكنه أيضاً من القيام بدراسة نوع محدد من المستوطنات؛ مواقع المخيمات والملاجئ، والقرى المحصنة من العصر البرونزي، والمدن المسورة العائدة (للألف الثالث ق.م) ، وأماكن التزود بالماء في الصحراء.... وفي هذه الحالة عليه أن يركز انتباهه على المنظر الطبيعي بادئاً بتحديد المخلفات الأثرية التي تهم الباحثين الآثاريين بخاصة.

أهمية المسح الآثاري :

1-التعرف على المواقع الأثرية والأدوار والعصور التي مرت على كل موقع إذ أن حدود المسح الأثري ربما تسند إمكانية توزيع نوع محدد من المواقع أو للرغبة في فهم عصور قبل التاريخ في منطقة معينة.

2-تثبيت المواقع الأثرية على الخرائط وتحديد استخدامات الأرض، لأن البحث الأثري الشامل يهدف ليس فقط إلى حصر المواقع الأثرية المطلوبة وجرد ظواهرها التي لا زالت قائمة على سطحها، بل يهدف إلى تحديد الإطار البيني الكامل الذي عاصرته هذه المواقع وعمل الخرائط المختلفة واللازمة له ويتم توقيع جميع المواقع الأثرية على الخرائط الكنتورية، مع ضرورة إعداد خرائط أخرى منها خرائط جيولوجية لمسح التربة، وخرائط جغرافية وطبوغرافية . وسوف تكون هذه الخرائط نافعة الأعداد

دراسات متعددة، ويمكن تصنيف المواقع تبعاً للطبوغرافيا أو للعلاقات القائمة فيما بينها .

3- – التعرف على الطرز العمارية إن وجدت ظاهرة للعيان ودون إجراء تنقيبات. فقد يتم الحصول على بعض المعطيات من مثل وظيفة المواقع، مع ملاحظة أهم مميزاتها وخرائبها ومخلفاتها المادية، فضلاً عن ما تبقى من آثار مباني يمكن أن تسهل علينا كثيراً إعطاء تفسير محتمل. فتدل أطلال وخرائب مدينة مثل بابل وأور وأشور مثلاً على أنها مراكز مدنية بمجرد النظر إليها فقط، وهي مواقع أثرية دقت معظم أبنيتها تحت تلال ترابية. لكن الظاهر منها يدلنا على وجود أبنية مدنية وتخطيط للشوارع ومعابد وأسوار، وبذلك يمكن ومنذ البداية تحديد هويتها من خلال المخلفات المدنية .

4-الربط ما بين المواقع الأثرية في المنطقة الواحدة والمناطق الأخرى المجاورة من خلال دراسة الملتقطات الأثرية من كسر فخارية وأدوات اخرى،

5-التعرف على أشكال الإستيطان وأنواعه، ويسمى هذا النوع من المسوحات (المسوحات المنتظمة) ويتضمن: أشكال الإستيطان طويل الأمد، والإستخدامات القديمة للأرض والإتصالات والسكان والتفاعلات والإتصالات بين المدنية والريف .

٦- من أجل تحديد وحماية المواقع الأثرية وخاصة في ظل ظروف وأوضاع طارئة مثل؛ إنشاء المشاريع المدنية لأغراض مختلفة كإنشاء السدود والمشاريع الزراعية والطرق السريع وسكك الحديد وغيرها كما حصل في العراق، وسوريا، وتركيا ، ومصر، وغيرها من دول الشرق الأدنى، مما تطلب إجراء عمليات مسح إنقاذي واضطراري ربما رافقتها تنقيبها جزئية أو فتح مجسات وغيرها.

اهداف المسح الآثاري :

1-يجعل المسح الأثري نظرة الآثاري واسعة وشاملة، ويجعله قادراً على بناء سلسلة من الصور المترابطة عن مراحل الإستيطان وتعاقبها التأريخي.

2-أجراء أولي يسبق الحفريات، وهو منطلق تمهيدي لا غنى عنه لبعثات التنقيب. وقد الزمت دول عدة، منها العراق البعثات الأجنبية التي ترغب في العمل في بلدانهم إلى ضرورة إجراء عملية مسح أثري كامل ومحدد الأهداف، لتلافي الأخطاء الكبيرة التي وقعت في الماضي.

٣- يحدد ويضع حيزاً للمنطقة التي يراد أجراء الحفريات بها. فغالباً ما تجري اعمال المسح الأثري في مناطق محددة ذات ترابط موضوعي وغالباً ما تكون في إقليم واحد بمحددات مشتركة مثل الطبوغرافية والمناخ وغيرها من العوامل مثل منطقة الجزيرة بين العراق وسوريا، التي جرت فيها عدة أعمال مسح .

4-يسمح بتكوين فكرة عن كافة أنواع البقايا الأثرية وربطها بمثيلاتها في المناطق والمواقع الأخرى. فيتم تحليل عينات الأبنية مثلاً للتوصل لنتائج محددة بخصوص طرائق وأساليب البناء وموادها، كما يمكن عمل المقارنات اللازمة لربطها مع غيرها من الأبنية والمواد المستخدمة في المواقع الأخرى، حتى لو كانت هذه المواقع بعيدة عن بعضها من الناحية الجغرافية، لأن وجود أنواع متشابهة من المواد الخام، ولا سيماء الطوف واللبن والأجر والأحجار، أو وجود أنواع متشابهة من المنتجات الفنية مثل الفخار والخزف والمسكوكات ونحوها، كل هذا يدل دلالة قاطعة على وجود نوع من الإتصال بين سكان تلك المواقع المختلفة مع بعد المسافات فيما بينها.

5-هو عملية مكملة للعمليات الحفر والتنقيب الأثري، أي أنه أحد الأركان الأساسية في عملية التنقيب، إذ لم يعد ممكناً القيام بحفر موقع ما دون إجراء عملية مسح أثري شاملة له.

6-يمكن التعرف من خلالها على الأدوار والعصور التاريخية للمنطقة المراد مسحها، وقد أشرنا كيف أن السيد أدامز ومن خلال الأدلة المستمدة من البقايا الأثرية وخاصة الفخاريات إستطاع أن يضع تسلسل زمني للمواقع المكتشفة في منطقة حوض ديالي بالشكل المنطقي والصحيح.

7-يمكن التعرف على التطور البشري والحركة العمرانية المترتبة عن هذا الإستيطان وظروف تطورها وتوزيعها الجغرافي والعوامل المتحكمة فيها. لأن عمليات المسح الأثري تسعى إلى أبراز كثير من أوجه الحياة لأولئك الذين عاشوا في الموقع الممسوح خلال أزمنته الغابرة.

8-معرفة المظاهر الاقتصادية والتجارية والعلاقات الاجتماعية ضمن حدود المنطقة الممسوحة. إذ ترتبط كثير من نتائج المسح الأثري بحياة الناس في الموقع الممسوح، ولا سيما من النواحي الإقتصادية والتجارية الإقتصادية والعلاقات الاجتماعية التي كانت تربطهم بغيرهم من المجتمعات المعاصرة لهم.

9-حماية المنطقة من عوامل قد تدمرها وتسهم في إختفائها، لذلك فأن عمل الخرائط والمخططات وتحديد المواقع الأثرية وتشخيص معالمها المهمة يحافظ عليها من الإندثار والضياع.